آثار عدن في مهب الريح.. دفن هذه المعالم النفيسة وطمسها «ضياع لتاريخ شعب وهويته (٢-٢)

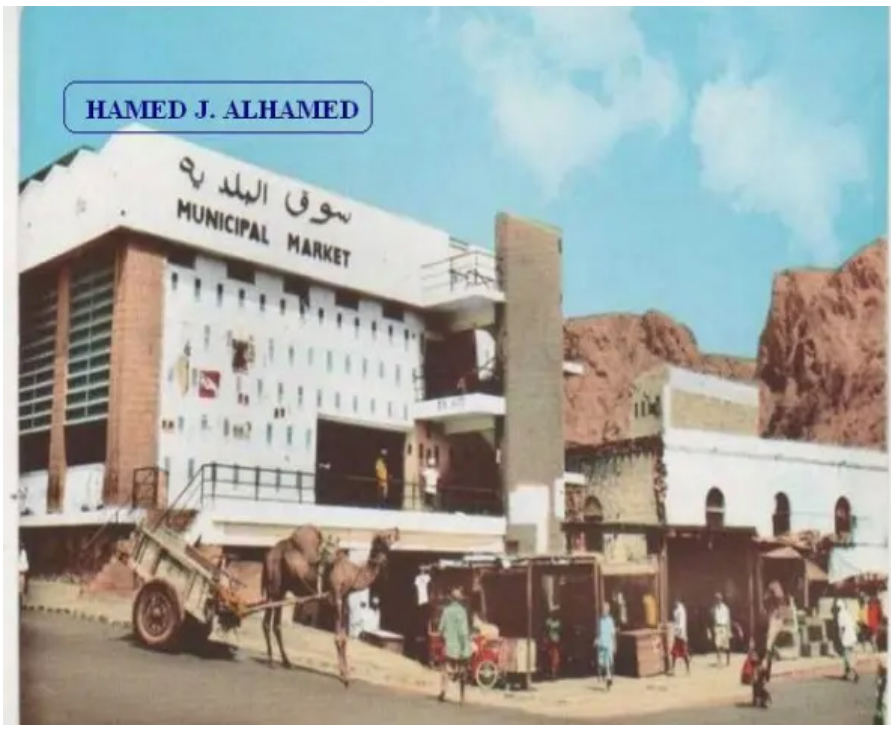

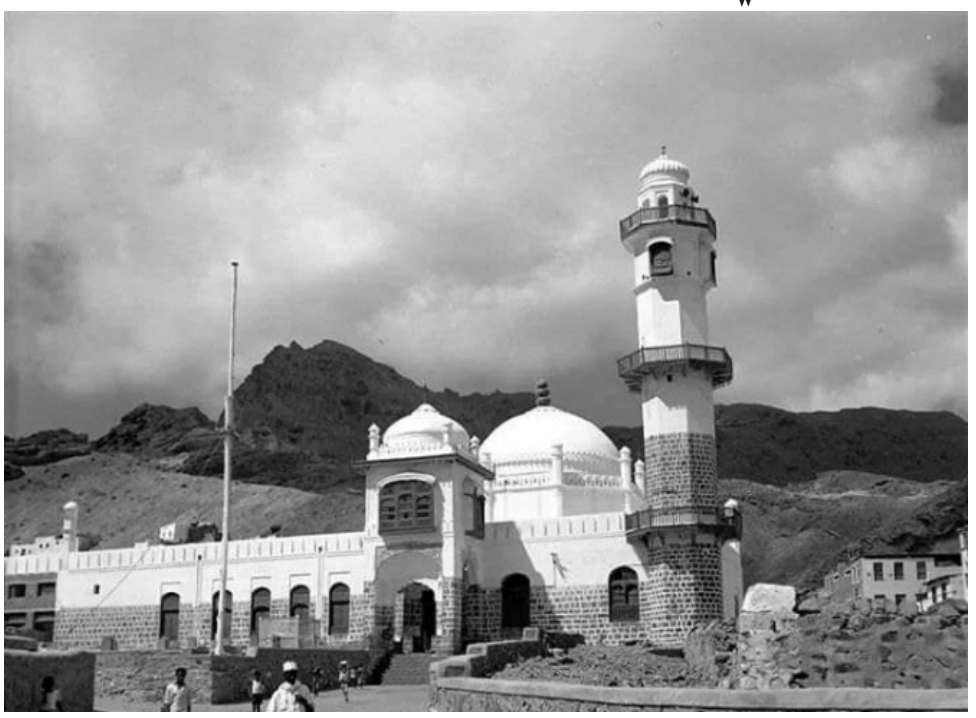

إعداد: حمزة عبدالقادر العطار×

تمتاز المعالم التاريخية والأثرية لأي دولة في كافة أرجاء كوكبنا, بأنها عنوان وتاريخ وهوية هذه الدولة، وتتمثل أهمية هذه المعالم, من خلال أدوارها المتميزة والتصاقها بكل الأحداث والوقائع التاريخية التي عاشتها هذه الدول منذ نشأتها, وقد اعتبرها العلماء الأوروبيون ثروات قومية باعتبارها رموزاً شاهدة على الحضارات والنكسات والحروب والغزوات وفترات البناء والسلم والتي عاصرتها هذه الدول، واعتبر الحفاظ عليها وصيانتها الدورية واجب وطني مقدس, ويكفي ما نشاهده ونسمع عن العديد من مشاريع الصيانة للكنائس ودور العبادة والأبراج التاريخية التي ترمم في كل من فرنسا وإيطاليا حالياً، ومثلما اهتمت منظمة الأمم المتحدة "اليونيسكو" بالمدن التاريخية القديمة في العالم، اعتبرت صنعاء القديمة وسيئون من المدن التاريخية التي استوجب صيانتها, وصدر قرار من المنظمة المذكورة باعتبار (كريتر) محمية تاريخية في الفترة ما بين ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م، إلا أن هذا القرار أهمل ولم يجد التنفيذ طريقه من قبل السلطات المعنية المختصة لأسباب مجهولة لا يعلمها إلا الله.

المتحف العسكري:

ويقع في شارع السيلة في مدينة كريتر م/ صيرة، وكان مدرسة ابتدائية أنشئت في العشرينات من القرن الفائت، درس فيها أبناء كريتر المرحلة الابتدائية وكنت أحدهم، وتحولت المدرسة بعد الاستقلال الوطني في الثمانينيات من القرن العشرين إلى متحف عسكري ضم مآثر لنضالات أبناء عدن والجنوب منذ بدء الاحتلال البريطاني لعدن في 19 يناير 1839م ، حتى خروجه مدحوراً في ظهيرة الثلاثين من نوفمبر 1967م من القرن الماضي على يد شهداء ومناضلي الجبهتين القومية والتحرير، بدءاً من 14 أكتوبر 1963م وحتى 30نوفمبر 1967م، لتنال هذه الأرض حريتها بعد استعمار دام 129 سنة.

المصيبة الذي واجهها ذلك المأثر التاريخي استبدال صور قادة الكفاح المسلح من العدنيين والجنوبيين وأسلحتهم بشخوص لا ينتمون بصلة إلى الجنوب العربي، وتم الطمس والإلغاء والإزالة لكل ما كان موجوداً، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هي بداية الإشارة للمأساة التي تعيشها حتى الآن معالمنا ومتاحفنا.

السوق البلدي (سوق الصيد):

ويقع في كريتر، وقامت ببنائه حكومة ولاية عدن في عام 1965 من القرن العشرين، أثناء الحقبة الاستعمارية وقبل رحيل الإنجليز عن مستعمرة عدن بعامين، ولا زال المبنى قائماً حتى اليوم، ويناهز عمره 58عاماً منذ إنشائه، ويعتبر معلماً تاريخياً، وقد طرزت واجهته بمئات الرصاصات أثناء حرب الحوثي قبل 8 أعوام من الآن لتمثل همجية الغزاة.

مسجد العيدروس:

يعتبر هذا المسجد من أوائل المساجد التي بنيت في عدن وقد صادف وجوده دخول القبطان (هينس) والقوات البريطانية والهندية إلى صيرة في مدينة كريتر في ظهيرة اليوم المشؤوم 19 يناير 1839م، وهروب سكان كريتر من المسلمين واليهود محتمين بمسجد العيدروس خوفاً على حياتهم، ولم يغادروه عائدين إلى منازلهم إلا بعد مجيء (هينس) نفسه إلى المسجد وتعهده بسلامتهم، هذا ما ذكرته الكتب الإنجليزية التي تحدثت عن احتلال عدن.

مسجد العيدروس مأثرة إسلامية رائعة، وقد وظفته المؤسسة العامة للسياحة في بداية الثمانينيات من القرن العشرين إلى جانب (الصهاريج – قلعة صيرة – مآثر شبوة – حضرموت) ضمن البرامج السياحية التي كانت تبيعها للوكالات السياحية الأجنبية التي كانت ترسل المجاميع السياحية من أوروبا واليابان عبرها لزيارة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية للسياحة فيها وزيارة تلك المعالم منها مسجد العيدروس.

معبد الفرس:

وكان إلى قبل بداية الألفية الثانية القرن الحادي والعشرين مزاراً لأبناء الطائفة الزرداشتية (الفرس) معبد النار ومقبرة للمتوفين، ونستطيع الآن أن نشاهده وهو يقع على أحد تلال جبل شمسان المواجه لحي شعبٍ العيدروس في م/صيرة المعبد وهو حالياً مغلق.

المعبد الهندي:

ويقع في حي الخساف، وكان موقع عبادة لأبناء الطائفة الهندوسية البذيان، إلا أنه أغلق نظراً لمغادرة الطائفة لعدن بعد مغادرة القوات البريطانية إبان الاستقلال الوطني وهو الآن موقع تعشعش فيه الغربان والجرذان.

مسكن الكابتن هينس:

وهو القبطان الإنجليزي الذي احتل عدن في 19 يناير 1839م، ويقع مسكنه بالقرب من مكتب الخدمة المدنية والتأمينات في الخساف وتحول الآن الى موقع للزبالة.

معامل صناعة الملح:

وموقعها في البحيرة التي تتوسط ما بين فندق عدن ومستشفى البريهي، وهي أكواخ مخروطية كانت تجفف فيها الأملاح التي كانت تستخرج من مياه البحيرة المذكورة، وكانت تدار من قبل شركات إيطالية استثمرت ملح عدن بعد دخول الإنجليز في أوائل عقد الأربعينيات من القرن التاسع عشر، وظلت بعد الاستقلال الوطني كأحد آثار عدن إلا أنه وفي أواسط العقد التاسع من القرن العشرين امتدت إليها أيادي قوى النفوذ بجبروتها.

محمية الطيور:

وجدت في منطقة كالتكس في مدخل مدينة الشعب م/ البريقة، وظللنا نسمع عنها إلى ما قبل الحرب الظالمة للحوثيين على عدن والجنوب؛ إلا أنه أسدل الستار عليها ولحقت بأخواتها المذكورة أعلاه، وتعود أهميه هذا الموقع إلى أنه كان موئلاً لمختلف أنواع الطيور البحرية التي كانت تقدم من خليج عدن وبحر العرب، لتجد فيه موقعاً تحتمي فيه، إلا أن الأيادي الشريرة طردتها من نعيمها، اللهم فاشهد.

بوابة ميناء عدن:

يعود تأسيسه في فترة إعلان السلطات البريطانية (في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) اعتبار ميناء عدن والمساحات المجاورة للميناء والتي تقع في مديرية التواهي منطقه حرة Free Zone، وقد ازدهر هذا الموقع في أوائل الستينات – بعد انتشار السفن التجارية وإنشاء مصفاة عدن Aden refinery في أواخر الخمسينات من القرن العشرين – وكانت مصدرًا للعملة الصعبة لخزينة المستعمرة.

مملكة الآثار:

إذا صح لي التعبير فهي منَّة وهبها المولى لنا منذ آلاف الأعوام، فهي محافظه بيئية «أرخبيل سقطرى" تلك المأثرة التي تحتوي في جوانبها العديد من الأشجار المختلفة ومنها دم الأخوين، ويقول المختصون عنها أنها تحوي في أنسجتها الكثير من الأدوية الشعبية، وموئلاً للمئات من الطيور المهاجرة من أوروبا والقرن الأفريقي، واسمحوا لي أن أصف هذه الجزيرة بـ«المنجم» الذي يجب استكشافه من قبل المؤسسات الأجنبية المختصة، وإلى جانب كل ذلك فهي موقع لمادة خام لصناعة الإسفنج، وموقع سياحي، يمكن بناء مجمعات من الشاليهات للمجاميع السياحية الأجنبية التي ستقدم من محافظة عدن أو من محافظة حضرموت لتقضي أيامًا جميلة في هذه الجزيرة ستقضيها في سياحة الغوص وصيد الأسماك قبل عودتها إلى بلدانها، والجزيرة فرصة استثمارية نادرة يمكن استثمارها من قبل شركات استثماريه أجنبية في العديد من المجالات المذكورة أعلاه.

مقترحات:

مقترحاتي تصب في أهمية إعطاء الآثار والمعالم التاريخية، كثروة قومية للجنوب، يجب الحفاظ عليها بعد إعادة صيانتها وتشغيلها في كل من محافظات: عدن وشبوة وحضرموت وسقطرى، وأن يعطي الأخ المناضل «علي الكثيري» رئيس الجمعية الوطنية توجيهاته الخاصة (باعتباره رئيس الجمعية) بتشكيل كتلة برلمانية مكونة من أعضاء في الجمعية في محافظات عدن وشبوة وحضرموت وأرخبيل سقطرى، تكون مهامها كالتالي:

اعتبار المعالم التاريخية والأثرية ثروة قومية وترسيخاً للهوية الجنوبية.

حماية المعالم التاريخية والأثرية في المحافظات المذكورة أعلاه من أية انتهاكات تمس قدسيتها، وذلك بالعمل على تسويرها – مؤقتاً – .

التوصية بتوفير موازنة مستقلة لإعادة ترميمها وصيانتها وتشغيلها في نطاق وزارة السياحة – مستقبلاً .

التوصية بإعادة إدراجها ضمن المنهاج الدراسي لمقرر التاريخ للمرحلة الابتدائية، وإقامة الرحلات المدرسية لتلاميذ المدارس الابتدائية إلى هذه المعالم مستقبلاً .

التوصية في سياق تطوير السياحة الخارجية، يتم توظيف هذه المعالم ضمن برنامج «السياحة الخارجية» التي يتم بيعها للوكالات السياحية الأجنبية، لتكون هذه المعالم ضمن برامج زيارات السياح الأجانب عند مجيئهم إلى الجنوب العربي مستقبلا.

التوصية باستقدام البعثات الأثرية الأجنبية للبحث والتنقيب عن مواقع الحضارات التاريخية القديمة في محافظتي شبوة وحضرموت مستقبلاً.

التوصية بإعطاء محافظة «أرخبيل سقطرى" أولوية في استكشاف ما تحويه هذه الجزيرة من هبات طبيعية في مجالات: صناعة الأدوية وصناعة الاسفنج وصناعة السياحة وأية مجالات جديدة من قبل مؤسسات اختصاصية أجنبية – مستقبلاً.

التوصية بأهمية التواصل مع سفاراتنا في تركيا والمملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا وكذلك مع المقر الرئيسي للبوليس الدولي لإعادة آثارنا المنهوبة – مستقبلاً – وقد نجحت مصر والعراق بإعادة آثارها المنهوبة.

أن تعطى السلطات المحلية في محافظة عدن وشبوة وحضرموت وسقطرى في نطاق اهتماماتها المحلية في هذه المحافظات، بمجال المعالم التاريخية والأثرية وحمايتها من أية انتهاكات من قبل بعض الجهلة وذلك بحراستها أمنياً حفاظاً على ثروة الجنوب من هذه الآثار والمعالم السياحية.

* كاتب وباحث ومترجم في تاريخ مستعمرة عدن.